و للروح ارتواء

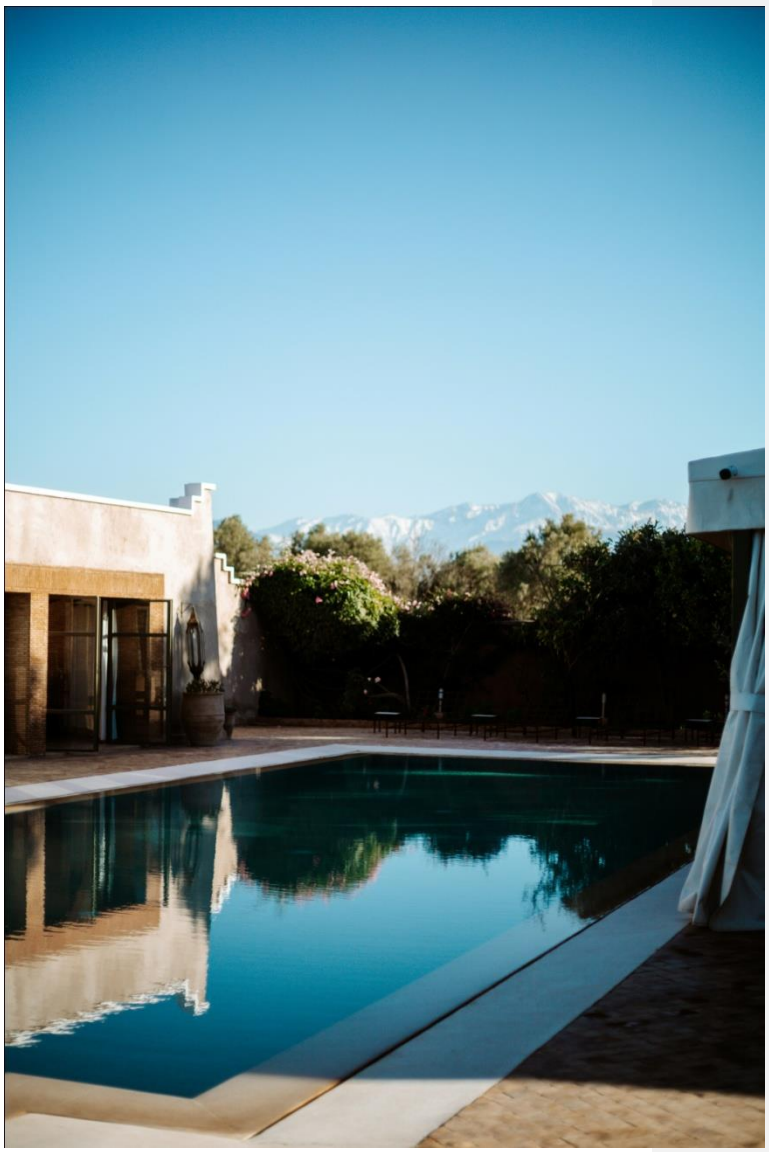

تفريغ محاضرة

حاجتنا للسكينة

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٦ -٦-١٤٤٤هـ

حاجتنا للسكينة

بسم الله الرحمن الرحيم..

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله،

أما بعد...

أثناء هجرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- برفقة أبي بكر- رضي الله عنه- عندما وصلا لتلك اللحظة المفصلية الخاطفة للأنفاس، حيث اختبأا في غار حراء، الغار الذي لا يبدو كجميع الكهوف، فمن ينزل رأسه يرى ما بداخله، حينما وصل فرسان المشركين الذين أرادوا رأس النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد وضعوا مكافأة لمن يأتي به، مروا بجانب هذا الغار، عندها نظر أبو بكر وقال: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا... "[1]

أبو بكر -رضي الله عنه- في هذا الموقف، ومعه أهم شخصية في التاريخ، ليبدأ المسلمون برفقته بعد الهجرة حياة جديدة، الذي إن مات لم تقم للإسلام قائمة كما ظن أبو بكر في تلك اللحظة، تلك اللحظة الحاسمة، فإما أن يبقى الرسول -عليه الصلاة والسلام- على قيد الحياة ويُكتب عمر وعهد جديد، وإما أن يموت ويموت معه الإسلام، أجابه النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال له: [يا أبا بكر مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا] [2] قال تعالى: {إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ} (التوبة، 40) ثم بعدما كان تأييد الله للنبي كان قوله تعالى: {فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا} (التوبة، 40)،

في هذا الوقت العصيب والحرج والمهم المفصلي، أنزل الله السكينة وكأنها جند خفي، وجعل كلمة الله العليا وكلمة الكفر السفلى، وسأتحدث في هذا المقام عن تلك السكينة التي نحن بحاجتها اليوم أكثر من أي وقت مضى، في زمن بات الإنسان يتقلب فيه من حال إلى حال، والأحداث تتوالى وراء بعضها البعض، فالنفوس مجروحة مكلومة، فيها شيء من الاضطراب والحزن والاكتئاب.

السكينة كما يعرفها ابن القيم -رحمه الله-: "**هي الطمأنينة والوقار والسكون، الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة الخوف والقلق**" فهي منة من الله، وليست سكونا عاديا، بل تحدث في لحظة يرتجف بها القلب، قد تحدث تلك المصائب في وقت الرخاء، فتقابلها بدمع العينين وتبكي و تتمتم: اللهم لا تبتلينا، ولكنك تفاجئ عند نزول البلاء بإنسان آخر، فيسكن بداخلك من الصبر والثبات الكثير، وهذا يأتي من الله وليس بفعلك، يقول ابن القيم: "**ينزلها الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج لما يحصل له بعد ذلك، وتوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات**"

1 أخرجه البخاري في صحيحه

2 أخرجه البخاري في صحيحه

آيات السكينة في القران: ستة: واحدة في سورة البقرة، وآيتان في سورة التوبة، وثلاثة في سورة الفتح.

فأما التي في سورة البقرة، فقد نزلت في بني إسرائيل، بقوله تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ} (248)

والثانية جاءت في سورة التوبة عن المسلمين، يقول الله تعالى: {ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} (26)

والثالثة في سورة التوبة، قوله تعالى: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا} (40)

أما الآية الرابعة، فهي في سورة الفتح، قال الله عز وجل: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ} (4)

<u>لما يسكن القلب ويطمئن لحكم الله، يزداد إيمانه، فاللحظة التي تصبر فيها على البلاء ويسكن قلبك ويطمئن، يكافئك الله لأنه شكور، فيزداد الإيمان على إيمانك.</u>

والآية الخامسة كانت في بيعة الرضوان، قال تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} (الفتح، 18)

والآية السادسة، حين قال الله عز وجل: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} (الفتح، 26)

نزلت نصف آيات السكينة في سورة الفتح، تلك السورة التي تتحدث عن فتح مكة، نزلت في صلح الحديبية، حينما كان المؤمنون قادمون لأداء العمرة، فردهم الكفار وطلبوا أن يأتوا في السنة القادمة، وجاء من شروط الصلح في الحديث: [... فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّا لَمْ نَقْضِ الكِتَابَ بَعْدُ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَجِزْهُ لِي»، قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: «بَلَى فَافْعَلْ»، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ، قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا، أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا، قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ، قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِ الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ ...] (3)

وهذا الصلح، أخبرت عنه أم سلمة لما قال النبي -علية الصلاة والسلام- "يوشك الناس أن يهلكوا"،قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأَصْحَابِهِ: [قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا

3 أخرجه البخاري في صحيحه

مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا، ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ...] (4)

وفي طريق عودتهم للمدينة نزل قوله تعالى:{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا} (الفتح، 1)، ففي هذه السورة منّ الله بالسكينة على النبي -صلى الله عليه وسلم- وربط جأشه، وثبته في لحظة لم يكن الثبات فيها هينا، وممن كان على ثبات النبي -عليه الصلاة والسلام- أبوبكر حينما جاءه عمر بن الخطاب -رضي الله عنهم- وقال له: يا أبا بكر ألسنا على الحق؟ أليسوا هم على الباطل؟ فعلام نرضى الدنية في ديننا، قال: إنه رسول الله وإن الله لن يضيعه، فالزم غرسه يا عمر.

ومما جاء في السنة عن السكينة أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ-: [إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ، عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا] (5) أي لا تأتوها تركضون، لأن الركض للحاق بالركعة الأولى يُذهِب الخشوع، والخشوع والطمأنينة والسكينة أولى في حقيقة الصلاة،

وقال النبي -عليه الصلاة والسلام- في يوم عرفة في الحج، حينما سمع على الناس جلبة وهم يدفعون من عرفة، ويرفعون الدواب وغيره، فقال -عليه الصلاة والسلام- بعد ما أشار بسوطه إليهم: [أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ فَإِنَّ البِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ] (6) والإيضاع كثرة الجلبة والسرعة، وبرّ الحج يكون بالسكينة

وأيضًا عن البراء بن عازب قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَ الخَنْدَقِ- حَتَّى أَغْمَرَ بَطْنَهُ، أَوْ اغْبَرَّ بَطْنُهُ، ويقُولُ: [وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا] (7)

وقد كانوا في يوم الخندق ينتظرون عشرة آلاف مقاتل من المشركين، فكانت خطتهم أن يحفروا خندقا، فما كان من النبي -عليه الصلاة والسلام- في هذه اللحظات إلا أن يطلب السكينة والتثبيت، لا النصر والتأييد.

هذه السكينة التي نزلت على النبي -عليه الصلاة والسلام- في الغار، وعلى المؤمنين في بيعة الرضوان، وفي فتح مكة، ويوم الخندق، ونزلت على الأنبياء من قبلهم، نزلت على إبراهيم -عليه السلام- وقد كان فتى صغيرا، يوم أن وضعه قومه بمن فيهم أباه وأهله وأحب الناس إليه، وضعوه في المنجنيق وألقوه في النار، قال تعالى: {سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ} (الأنبياء، 60) وقال:{قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ} (الصافات، 97)، لم يرحموا صغر سنه، ولا تفكيره العقلي والمنطقي، إبراهيم الذي أُشرب التوحيد، ويعلم أن لا إله إلا الله، جاءه جبريل بستمئة جناح من الأعلى، يسأله: "يا إبراهيم، ألك حاجة؟" والنار أمامه، وهو يطير بعد أن قذف بالمنجنيق في ذلك الموقف الذي لا يساوي ثوان معدودة، يقول إبراهيم -عليه السلام-: "أما إليك فلا، وأما إلى الله فنعم" (8)

انظروا إلى هذا الثبات، تخيل لو أنك كنت مكانه، هل كنت ستثبت وقد أعطاك الله هذا الملك؟ أم كنت ستعطي نفسك فرصة وتتعلق بجناح الملك وتنقذ نفسك؟ لا أحد يريد أن يحترق بالنار، ولم يكن يعلم إبراهيم أن النار ستكون

4 أخرجه البخاري في صحيحه
5 أخرجه البخاري في صحيحه
6 أخرجه البخاري في صحيحه
7 أخرجه البخاري في صحيحه
8 ذكره الطبري في تفسيره

بردا وسلاما، قد يكون ظنه أنه سيموت محترقا كأصحاب الأخدود، معذبا بالنار ليموت إلى أن يلقى الله عز وجل، ومع ذلك قال أما إليك فلا، وأما إلى الله فنعم.

وقد أُنزلت السكينة على إسماعيل حينما أراد أن يذبح ابنه إبراهيم -عليهما السلام- وأُنزلت على موسى -عليه السلام- لما تراءى الجيشان، وكانوا قد هربوا من فرعون الظالم، الذي يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم ولم يرحم كبيرا أو صغيرا، فلو وجدهم بعد هروبهم ماذا سيفعل بهم؟ وهو الذي قال للسحرة لما آمنوا مع مكانتهم العالية عنده، إلا أنه قال لهم لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، ولأصلبنكم في جذوع النخل، فلما تراءى الجمعان، وأدركوا بعضهم البعض، موسى وأصحابه وفرعون وجيشه، قال أصحاب موسى: "إنا لمدركون" أي أننا انتهينا، فالبحر من أمامهم، وفرعون خلفهم، ولا مهرب ولا مكان للاختباء، حينها أنزل الله السكينة على موسى وثبته بها قال موسى في الآية: {قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} (الشعراء، 62) فقال له الله عز وجل جزاء لثباته ويقينه: {اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} (الشعراء، 63).

تأتي المعجزات والمنح لتلك القلوب الثابتة التي تسكن إلى رضا الله عز وجل وحكمه وقدره، وإلا لمن ينفلق البحر وكيف يفلق؟ وهذا الماء الذي أصبح جبلين؟ ومع ذلك قال الله عز وجل لهم امشوا وامضو {لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ} (طه، 77)

حينما نقرأ ونسمع عن تلك السكينة، ثم نتأمل في حالنا، نرى أننا نفتقدها في حياتنا، والقلوب تتقلب، وكلمة تأخذ بها وأخرى تجيء بها، وموقف يثورها وآخر يهدئها.

إن أكبر مشكلة لدينا هي أننا نبحث عن السكينة في أماكن الشتات والضياع والاضطراب، عندما أكون مضطربا أبحث لي عن دواء مهدئ، أو أذهب لمكان يرفه عن نفسي، كجمعة أصدقاء وإضاعة للوقت، نبحث عن السكينة والهدوء والسلام في كل مكان إلا في المكان الذي أخبرنا الله عنه، والذي أرشدنا إليه.

القران والسنة نزلت من الله الذي خلقنا، والذي خلقنا أعرف بنا، وبما يصلحنا، خلقنا بتركيبة معينة، بهيئة معينة، بمشاعر معينة، فدلنا على ما يعيننا، فإذا ما أردنا إيجاد السكينة والسلام وجب علينا الاتجاه نحو القرآن والسنة، لا أماكن الشتات التي لن تجد بها شيئا.

مواطن السكينة كما جاءت في القرآن والسنة:

السكينة في قراءة القرآن:

قال النبي عليه الصلاة والسلام: [...وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ...] (9) سواء كانت تلك القراءة فردية أو جماعية، قال ابن تيمية-رحمه الله-: "**لا يُشترط لنزول الملائكة والسكينة أن تكون القراءة أو الذكر في جماعة، فيحصل ذلك للشخص الواحد**"

ودليل هذا أن أسيد بن خضير حينما كان يقرأ القران في معبده، وبجانبه ولده وفرسه، فإذا بالفرس تجول -أي تحركت حركة فيها نوع من الاضطراب- فخاف على ابنه، ثم تحركت ثانية وثالثة وما زال يقرأ القران، يقول: "ثم توقفت عن القراءة ورفعت رأسي، فإذا بظلة أظلتني وفيها سرج، فلما توقفت عن القراءة ارتفعت" ومن الغد ذهب للنبي -صلى الله عليه وسلم- يخبره بذلك، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ، يَقُولُ: قَرَأَ رَجُلٌ الْكَهْفَ، وَفِي الدَّارِ

9 أخرجه مسلم في صحيحه

دَابَّةٌ فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ، فَنَظَرَ فَإِذَا ضَبَابَةٌ، أَوْ سَحَابَةٌ قَدْ غَشِيَتْهُ، قَالَ: فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: [اقْرَأْ فُلَانُ، فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ عِنْدَ الْقُرْآنِ، أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ] (10) وفي رواية أخرى: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: [تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ] (11)

إن كل من يتدبر القرآن ويقرأه يجد حلا لمشكلاته، أو زوالا لجهالاته، أو جوابا لسؤاله، أو بلسما لجرح مفتوح، فإذا ما قرأت القرآن بنية الاستشفاء، استشفاء الروح والجسد، والاهتداء بتدبر واستحضار، فجزما ستجد الحل، وهذا من عجائب القرآن، قال الله عزوجل: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} (محمد، 24) وحينما يكون القلب مقفلا، لا يمكن أن تدخل أنوار القرآن إليه ولا يُفتح إلا بكثرة الطرق.

ومن عجائب قراءة القرآن وتدارسه، أن رسالته للبشر متعددة، فكل إنسان يلامسه من جهة معينة، فهذا مكدَّر القلب فيكون القرآن سلوة له، وآخر لاهٍ في دنياه فيكون تذكرة له، حتى الإنسان نفسه حينما يقرأ سورة أو آية نفسها ففي كل مرة توحي له بمعنى مختلف، وهذا من عجائبه التي لا تنقضي،

وقد أمرنا الله عزوجل في قوله: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} (المزمل، 4) فلا يمكن أن يحصل التدبر إلا بالترتيل، والترتيل هو تحسين الصوت، فلست مطالبا بجمال الصوت، بل أن تكون قراءة شجية متمهلة مطمئنة، وكانوا يصفون قراءة النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه كان يرتل، فكان يمد قراءته حرفا حرفا، ويقف على رؤوس الآيات حتى تكون السورة أطول من طولها، كأن يقرأ سورة مريم بزمن مماثل لما تقرأ فيه سورة الإسراء، مع أن سورة الإسراء أطول، فكان يمد ويكرر ويسأل الله عند نعيمها ويستعيذ من الشرور والعذابات التي يمر بها، فيعيش بالسورة على عكس ما نفعل،

فنحن نضيع حلاوة الدنيا ولذتها بالعجلة، وهذه العجلة التي يقول الله عنها: {خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ} (الأنبياء، 37) إذن لماذا نستاء عندما يبدأ الإمام بسورة غير السور القصار؟ لماذا لا نتلذذ بما نقرأ وبما نتعبد؟ كل ما نلهث وراءه زائل ولن ينفعنا بشيء، لن يبقى لنا سوى أعمالنا.

عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: [... وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ، فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ. فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا تَقُومُ لَهُمَا الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ. ثُمَّ يُقَالُ: اقْرَأْ، وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ، وَغُرَفِهَا. فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ حَدْرًا كَانَ أَوْ تَرْتِيلًا] (12)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: [يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا] (13)

الفوز بالقرآن شيء عظيم، فهو شافع وشفيع، ويتدرج به في درجات الجنة بعدد الآيات التي يحفظها، والسكينة تتنزل على قارئه فالتجارة مع القرآن لا يمكن أن تكون خاسرة أبدا.

10 أخرجه مسلم في صحيحه

11 أخرجه مسلم في صحيحه

12 قُلْتُ: رَوَى ابْنَ مَاجَهْ مِنْهُ طَرَفًا "رَوَاهُ أَحْمَدَ في مسنده، وَرِجَالُهُ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رِجَالُ الصَّحِيحِ"

13 أخرجه أبو داود في سننه وقال الألباني: حسن صحيح

وقد كان عند السلف طريقة جميلة في تعاهد القرآن، فكان لهم ختمة أسبوعية، والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يسبعون القرآن، والتسبيع قراءته سبعة، ثم خمسة، فخمسة، خمسة، وهذا لئلا ينقطعوا عن القرآن،

وكان لديهم ختمة التدبر، وهذه الختمة تطول بهم، فيعكفون على السورة شهورا، وربما سنين، فيقفون على معاني الآيات ويكررونها، ومنهم من يقوم الليل بآية وهو يتدبرها ويرددها، كما جاء عن تميم البادي وعائشة رضي الله عنها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- - فَذَكَرَ الحَدِيثَ -، فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: [صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ] (14)

ومما تتنزل به السكينة قراءة آية الكرسي قبل النوم، فيطمئن القلب عند قراءتها بيقين وصدق وثبات وقوة، ويكون له الحفظ من الله والحماية والنوم الهانئ،

قال قيس بن عبادة وهو من كبار التابعين: "**كانوا يستحبون خفض الصوت عند الذكر والقتال والجنائز**" فلا يصرخون ويلطمون عند الموت، ولا يقرعون الطبول والأهازيج في القتال، وهذه من علامات أهل الكتاب، بل كانوا يخفضون أصواتهم ويلهجون بالذكر والدعاء، لأنها لحظة اضطراب ولجوء إلى الله عز وجل.

السكينة على حلق الذكر:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: [إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ فُضُلًا عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ، فَإِذَا وَجَدُوا أَقْوَامًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى بُغْيَتِكُمْ، فَيَجِيئُونَ فَيَحُفُّونَ بِهِمْ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ اللَّهُ: أَيَّ شَيْءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ، فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيَذْكُرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: فَهَلْ رَأَوْنِي، فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا أَشَدَّ تَحْمِيدًا، وَأَشَدَّ تَمْجِيدًا، وَأَشَدَّ لَكَ ذِكْرًا، قَالَ: فَيَقُولُ: وَأَيُّ شَيْءٍ يَطْلُبُونَ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَطْلُبُونَ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا؟ لَكَانُوا أَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالُوا: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا لَكَانُوا مِنْهَا أَشَدَّ هَرَبًا، وَأَشَدَّ مِنْهَا خَوْفًا، وَأَشَدَّ مِنْهَا تَعَوُّذًا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ فِيهِمْ فُلَانًا الْخَطَّاءَ لَمْ يُرِدْهُمْ إِنَّمَا جَاءَهُمْ لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُ: هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى لَهُمْ جَلِيسٌ] (15)وفي هذه المجالس يجد الإنسان السكينة والطمأنينة، كشعوره حينما يدخل بيوت الله والمساجد، ذلك الشعور الذي لا يجده في أي مكان آخر، وحتى لو كان الإنسان حاضرا بجسده أو مكرها فإن السكينة تشمله،

السكينة في البيت:

قال الله عز وجل: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا} (النحل، 80) من المواطن التي يفترض أن السكينة تتنزل عليها هي البيت، وهو موطن السكن الأساسي الذي يشعر فيه الإنسان بالأمان والانتماء والاطمئنان، ومع ذلك نعيش

14 أخرجه البخاري في صحيحه

15 أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: صحيح

اليوم تلك الحالة التي لا يكاد يرجع الإنسان إلى بيته، فينام ثم يصحو ويسأل أين سنذهب اليوم، وإذا مر اليوم كله عليه وهو في المنزل ضاق صدره، حتى الأبناء أصبح خروجهم من المنزل هاجسا يؤرقهم، فما الذي طرأ على البيوت حتى فقدت معنى السكون، عندما تعود الأم إلى بيتها تستثقل استقبال أطفالها، وهذا منافٍ للفطرة، وعندما يعود الأبناء إلى بيتهم الذي يفترض أن يكون أماناً بوجود الوالدين تجده معكر الصفو،وتجد أن البيوت هُجرت وأصبح أصحابها في المقاهي، ولم تعد موطنا للسكن والاطمئنان.

السكنة في الليل:

يقول الله عز وجل: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا} (يونس،67) ومن المواطن التي يسكن فيها الإنسان الليل، والذي ما عاد سكنا بوجود الكم الهائل من النشاطات والأشغال التي نقوم بها بعد غروب الشمس، وفي أوقات الإجازات ترى الناس تنام النهار وتقوم الليل لتنجز ما عليها، والله لم يخلق أجسامنا لتعيش على هذا النحو، فالليل خُلِق ليسكن الجسد فيه، وهناك من الخلايا التي لا تصح إلا بسكون الجسد ليلا، إضافة إلى تفشي الاضطراب والقلق والاكتئاب جراء نوم النهار.

السكينة في الزواج:

يقول الله عز وجل: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا} (الروم، 21) ومن مواطن السكن، السكن ما بين الأزواج، فيكون الزوج لزوجته موطن انتماء واطمئنان، وهكذا تكون الزوجة لزوجها، والذي يحدث اليوم أن الزوج يخرج للقاء أصدقائه سعيدا ثم يعود إلى البيت دون لهفة ولا مشاعر، والزوجة أيضا تذهب لقضاء وقت مع صديقة ضاحكة، وما إن تعود حتى تتبدل المشاعر إلى خوف وحزن.

ما الذي يحدث حتى انطفأ نور السكينة في هذه المواضع؟!

إحدى صديقاتي تحدثني عن أزمة الكهرباء التي تحدث في بلاد الغرب، وأنهم باتوا يقضون الليل على ضوء الشموع، فسألتها مستنكرة: "على شمعة؟" فقالت لي: "لا يوجد شيء لفعله، نتناول العشاء ثم ننام" تخيل أننا في حياتنا الآن عندما يحل المساء نأكل ثم نأوي لفراشنا! لا مواعيد مع الأصدقاء، ولا التزامات عائلية، ولا تسوق، ولا موعد مستشفى، تأوي لفراشك وتنام، ليت لنا هذا الهدوء والسلام.

وهذا يجعلنا نتأمل في مواضع السكينة لدينا، إذ أنها بحاجة لمراجعة وتصحيح، فمواطن السكينة أقرب ما تكون إلينا، ولكننا نبحث عنها في أماكن الشتات.

وعن أخرى، فتاة فلبينية من أسرة مسيحية، علمها أبوها في أحسن المدارس النصرانية في الفلبين، مؤملا أن تكون راهبة، ولما كبرت أصبح عندها الكثير من علم اللاهوت، وأصبح لها شأن في الكنيسة عندهم، تقول: "كان عندي شيء من القلق والاضطراب والاكتئاب، وعالجته كثيرا ولم أستطع، وكنت أحلم بحلم (صلي لترتاحي) وتكرر علي كثيرا، فكنت أقوم وأصلي صلاة المسيحية بالتأشيرات أمام الصليب، ولكني لم أرتح، وكان هذا النداء وهذا الحلم دوما ما يأتيني وقت الفجر"، وفي مرة كانت في قرية للمسلمين تقوم بعملية التبشير بالنصرانية، ونامت تلك الليلة في هذه القرية، فلما طلع الفجر سمعت الآذان، تقول: "فلما سمعت الآذان قلت لأدخل وأجرب صلاتهم، وما إن وضعت رجلي على عتبة المسجد حتى غشيتني طمأنينة لم أشعر بها قبل، لا شعوريا وقفت وصليت معهم، وما إن أنيهت حتى تأكدت أني أريد الإسلام، وأريد هذا الشعور من النور والاطمئنان، ثم ما عاد لي ذلك القلق أبدا"

هي لحظة تمر بك تحتاج بها إلى سكينة تتنزل على قلبك، وعلى منفذ من النور ينير قلبك، فما إن جاء بصيص وبريق صغير، وإذا بك خرجت من تلك الظلمات وغشيتك الرحمة،

يقول الشيخ بن عثيمين -رحمه الله-: "السَّكينةُ هي: عدَمُ الحركةِ الكثيرةِ، وعدَمُ الطَّيشِ، بل يكونُ ساكنًا في قلبِه، وفي جوارحِه، وفي مقالِه، ولا شَكَّ أنَّ هذين الوصفينِ -الوقارُ والسَّكينةُ- من خيرِ الخصالِ التي يمُنُّ اللهُ بها على العبدِ؛ لأنَّ ضِدَّ ذلك: أن يكونَ الإنسانُ لا شخصيَّةَ له ولا هيبةَ له، وليس وقورًا ذا هيبةٍ، بل هو مَهينٌ، قد وضَع نفسَه ونزَّلها، وكذلك السَّكينةُ ضِدُّها أن يكونَ الإنسانُ كثيرَ الحرَكاتِ، كثيرَ التَّلفُّتِ، لا يُـرى عليه أثَرُ سكينةِ قَلبِه، ولا قولِه ولا فِعلِه، فإذا مَنَّ اللهُ على العبدِ بذلك فإنَّه ينالُ بذلك خُلُقينِ كريمينِ" فهذا الإنسان كثير الحركة والالتفات، لا تركيز لديه، مشوش الذهن، وهناك من يخلو قلبه من السكينة، فيكون قلبه مضطربا قلقا ليس له هيبة ولا وقار، والسكينة لا تكون في الحركات والصوت فقط، بل في ردود الأفعال والقرارات أيضا.

فوائد السكينة:

1- السكينة رداء ينزل فيثبت القلوب الطائرة، ويهدئ الانفعالات الثائرة، فنحن ما بين هاتين الاثنتين، فتطير القلوب فرحا وتطير حزنا أيضا وقلقا تارة أخرى، فهؤلاء بحاجة لسكينة من الله تتنزل على قلوبهم فتثبتها، وهناك من لا يقدر على إمساك غضبه وردود فعله التي قد تكون مبررة أحيانا، ودون مبرر أحيانا أخرى، فهو بحاجة إلى سكينة تهدئ من روعه، ومما يجب علينا، أن نأتمر لأمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- باستجلاب السكينة، قال -عليه الصلاة والسلام- وهو يشير بيده [أَيُّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ] [16]

إذن ثبّت قلبك، وهدّئ من روعك، وحاول أن تستجمع نفسك في بلائك ومصيبتك، دون جزع ولا سخط ولا قيل ولا قال، لئلا يرافقك الشيطان، ويقول -صلى الله عليه وسلم- عن هذه اللحظة [فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ] [17] وهذه لفتة تربوية نفسية دقيقة من الرسول -عليه الصلاة والسلام- لأن ما شاء الله كان، وما يريده سيكون، فالسكينة السكينة.

2- السكينة متى ما نزلت على العبد استقامت وصلحت أحواله وباله، قال تعالى: {وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ} (محمد، 2) جعل الله صلاح البال منة عظيمة، سليماً من القلق والاضطراب، ومن الخوف والرهاب الاجتماعي، والحزن على ما مضى والوساوس، فمتى ما نزلت السكينة صلح البال، ورحلت الشرور، ودخل فيه السرور، وجاءته الراحة، فالراحة وطيب العيش قرين لنزول السكينة.

3- السكينة علامة من علامات رضا الله على العبد، لأن المتسخط الجازع لا حبل بينه وبين الله.

4- السكينة توجب حب الله للعبد، فحينما يسكن العبد ويرضى يحبه الله عز وجل.

5- السكينة تجعل العبد قادرا على تحمل المصائب إذا حلت، وامتصاص الغضب إذا انفعل، وهذا لا يكون إلا بتأييد من الله وتوفيق من عنده عز وجل، فحينما تنزل السكينة على أهل البلايا والمحن، ولمن تعرض للظلم والضيم، هدأ القلب وصلح الحال، وأصبح من أهل الثبات واليقين.

16أخرجه مسلم في صحيحه

17أخرجه مسلم في صحيحه

السكينة في الوساوس والأفراح والأحزان:

يقول ابن القيم -رحمه الله-: "**تتنزل السكينة في حالات معينة عند الوساوس المعترضة في أصل الإيمان، ليثبت القلب ولا يزيغ**"كالجزع عند الوفاة، والسؤالات التي تتبادر للذهن، لماذا نحن، ولماذا يتصرف معنا الله هكذا، ولماذا يأخذ منا هذا الغالي، وقد تصل حتى الخروج عن الطاعات والإعراض عن الفروض، أو الخروج من الدين، فنحن بحاجة للسكينة عند الوساوس المعترضة لأصل إيماني، والخطرات القادحة في أعمال الدين
وحتى لو كانت في الطاعات،
فقد لا يأتي أحدهم مجلس ذكر لأن ذنوبه كثيرة، وقوله أنه بحضوره يكون هذا نفاقا، وقد لا يتصدق آخر خوفا من الرياء، هذه من الوساوس التي يثبط بها الشيطان إيمان العباد.
والسكينة نحتاجها في لحظات الفرح والأنس أيضا، لئلا يبطر الإنسان ويتكبر، فيفرح بحدود ما أحله الله له، قال ابن القيم: "ويحتاج إلى السكينة عند أسباب الفرح، لئلا يتجاوز الحد الذي أُمر به، فينقلب فرحه إلى فرح، ويحتاج إلى السكينة عند هجوم الأسباب المؤلمة والسكينة في هذه المواضع هي علامة على الظفر وحصول المحبوب واندفاع المكروه"

ولم يقل عند نزول البلاء، وإنما قال هجوم، لأن الابتلاءات تهجم أحيانا دون توقع، ودون مقدمات، فالذي يثبت بهذه اللحظات فاز، ولذلك كانت السكينة منة من الله عز وجل، ولا تتنزل إلا بمن أحسن صلته بالله، فأحسن صلتك به وانطرح بين يديه، وتعلق به، واذكره في الرخاء يذكرك في الشدة.

مشكلتنا أننا نرتاح في الرخاء، فنقوم بمعصية الله بكل شيء، بالسفر والحفلات وغيرها، فترجع له مواطن القلق التي هرب منها، والجزاء من جنس العمل، يقول ابن القيم -رحمه الله-: "**كنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتينا لشيخ الإسلام ابن تيمية، فما هو إلا أن نراه، ونسمع كلامه، فيذهب عنا ذلك كله، وينقلب انشراحاً وقوةً ويقينا وطمأنينة**"

تخيل أن الذي يجوب الأرض وينهل من خيرها، يأخذ انشراح الصدر ممن كان في سجن ضيق مظلم، فما إن يروه ويسمعوا كلامه حتى ينقلب خوفهم انشراحا وقوة ويقينا، لأن القضية ليست بالمكان الذي تعيشه، فلو أمسك الله رحمته عن أحدهم لضاقت به الأرض بما رحبت، وإذا أنزل الله رحمته والسكينة على أحد، فلا يستطيع أحد أن يمسك هذه الرحمات والأنوار التي تملأ القلب، وإن كان في أضيق الأماكن وأحلكها شدة، لأن القلب ثابت عرف الله في الرخاء، فعرفه الله عز وجل في الشدة.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: "وكان شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله عليه- يقول: <لما اشتد علي الأمر-يأتي الإنسان شيء من البلاء أو المرض فلا يستطيع القراءة- قُلت لأقاربي: اقرأوا علي آيات السكينة بالذات -فقرأوا عليه أهله آيات السكينة- ثم أقلع عنّي ذلك الحال ، وجلست وما بي قَلَبةٌ -أي ذهب كل ما فيه-> ثم يقول ابن القيم: قد جرَّبت أنا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب مما يرد عليه، ذهب كل ما أجد" وقال الفيروز آبادي معلقاً

على هذا الحديث: "وقد مضى على ذلك الأكابر، فما إن تقرأ آيات السكينة عند لحظات اضطراب القلب، إلا يزول ما في القلب و ما به" وهذه الأشياء عُرفت بالتجربة، وليست عبادة أو سنة عن النبي -عليه الصلاة والسلام- إنما تواترت عن الصالحين.

ما يجلب السكينة:

فالسكينة تُستجلب بصلاح القلب، وصلاح العلاقة مع الله عز وجل، وهناك أدعية في الصلاح عظيمة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: [اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي...] [18] فمتى صلحت هذي كلها تنزلت السكينة.

ومما يجلبها الإكثار من العمل الصالح، ومراقبة الله في السر والعلن، وهذا أمر في غاية الأهمية، فاحرص على طهارة القلب من الداخل، وفي أوقات الخلوة، بالإضافة إلى ذكر الله، قال تعالى: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (الرعد، 28)

ومحاسبة النفس على كل عمل وقول، فنحن لسنا ملائكة، إنما بشر نخطئ ونستغفر، ولذلك قالوا أن التوبة وظيفة العمر، نتوب ونرجع، نتوب ونرجع، إلى أن يأذن الله تعالى فيقلعنا عن الذنب.

ومما ذكره العلماء في السكينة ملاطفة الخلق، فكن لطيفا، امسح على رأس يتيم، وارحم صغيرا.
إحداهن تقول إن أردت التخلص من حافظات القهوة والشاي فلا ترسلها للجمعية فقط، بل املأها بالقهوة والشاي الساخن، وضع معها خبزا وأعطها لأحد محتاج في طريقك، وهذا من الإحسان والملاطفة التي تجلب السكينة، فكما تحسن للناس يحسن الله عز وجل إليك، والجزاء من جنس العمل.
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ-: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ أَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ أَعْفُو عَنِ الخَادِمِ؟ فَقَالَ: [كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً] [19] في اليوم سبعين مرة، لا في سنة، ولا في عقد، فهذا مما يربينا عليه الإسلام، أن تكون هادئا ساكنا مطمئنا.

أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أصحابها، وأن يجعلنا ممن تنزلت عليها السكينة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها

18 أخرجه مسلم في صحيحه
19أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني صحيح